المستشرق متفوخ

Eugen Mittwoch

حياته وآثاره

للدكتور صبري كامل

نشرت في مقتطف فبراير سنة ١٩٣٩ كلمة عن استاذي المستشرق نلينو مبيناً خصائصه ومناحي مباحثه وألوان تأثيره . وكان الاستاذ نلينو معروفاً في مصر لتعدد زيارته لها وتدريسه في جامعتها وعضويته في مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، فكان كثير الأصدقاء والتلاميذ في مصر . أما اليوم فقد نعى الينا البرق علماً آخر من أعلام الاستشراق لم يعرف في مصر كما عرف نلينو ، وربما يرجع هذا الى قلة إتصاله المباشر بها

سمعت على الاستاذ متفوخ في برلين فأصبت عنده علماً فياضاً وعرفت ذكاءً وقاداً وقلباً كبيراً وخلقاً دمثاً وروحاً مرحة وبديهة حاضرة ، وكان يحب تلاميذه ولا يقعد عن إسداء النصح لهم وبذل الإمداد إليهم . وكان يعينهم على الخاص كلما أحسّ بأن أحدهم يشكو ضيقاً بل كان يتعهد جميع نفقاتهم اذا عجز احدهم عن متابعة التحصيل . وقد كان رحمهُ الله يحب المصريين ويخلص لهم ، فلم يقبل أجراً على أي عمل نهض به للمصريين ولم يكن من وراء ذلك غير إرضاء حبه لهم وهمته في تعليمهم . وكان يتوق قبل هذه الحرب أن يزور مصر والشرق العربي . واتفق ان عرض عليه التدريس في جامعة فؤاد الاول فاعتذر مكرهاً عن الحضور لوفرة مهامّه في ذلك الحين

— ١ —

ولد أوتجين متفوخ في الرابع من شهر ديسمبر عام ١٨٧٦ في ألمانيا الشرقية من أبوين يهوديين ، وأتم دراسته في ألمانيا على طائفة من علمائها المستشرقين من بينهم العلامة ساخاو Edward Sachau . وقد كان الاستاذ متفوخ يجله فظلّ مرتبطاً به حتى موته . وحصل على الدكتوراه من برلين سنة ١٨٩٩ وكان هذا فاتحة حياته العلمية . فعين استاذاً للغات السامية في جامعة برلين وتولى منذ سنة ١٩٢٠ أعمال مدير معهد اللغات الشرقية

بجامعتها الى ان عين مديراً لهذا المعهد من سنة ١٩٢٧ إلى سنة ١٩٣٣ . ويعد هذا المعهد من اكبر معاهد اللغات الشرقية في العالم

كان — رحمهُ الله — يخدم وطنه ألمانيا وقد أسدى اليهِ أيادي جليلة في اثناء الحرب الكبرى حين كان ملحقاً بهيئة أركان الحرب

ولم يمنعهُ ذلك المجهود الذي بذله خلال الحرب الكبرى من متابعة عملهِ العلمي والاشراف على نشر أبحاثهِ . وقد عرفت الحكومة الالمانية قدره فاستعانت بهِ بعد الحرب الكبرى على اجتذاب الرأي العام في بولنده فنجح في مهمته بفضل خبرتهِ وحسن تدبيره . وقد استلزمت منهُ هذه المهمة مجهوداً كبيراً على ما يظهر : فقد أهمل أبحاثه العلمية إذ لم ينشر في سنتي ١٩١٨ و ١٩١٩ رسالة واحدة

وفي سنة ١٩٣٥ أوقفته الحكومة الالمانية عن عملهِ . فلما تعذّر الاستغناء عنهُ أعيد الى الجامعة حتى ظهر قانون سبتمبر ١٩٣٦ وهو القانون الذي فصل بمقتضاه جميع الموظفين اليهود من الحكومة ، فاضطر بذلك الى ترك الجامعة ولكن هذا لم يحدّ من نشاطهِ بل استمر في أعماله العلمية وتولى الى جانب هذا العناية بشؤون اليهود الالمان وتنظيم ترحيلهم الى الخارج . ثم لم تمكنهُ الأحوال المحيطة بهِ من العيشة في المانيا فرحل الى انكلترا عام ١٩٣٨ حيث هيئت لهُ بعض الجهات العلمية الانكليزية الفرصة لمتابعة أبحاثهِ العلمية

— ٢ —

بدأ الأستاذ منفوخ حياته العلمية بنشر الرسالة التي نال بها الدكتوراه من جامعة برلين سنة ١٨٩٩ عن « أيام العرب » . وقد وجه اهتمامه الى الدراسات العربية من نواحٍ مختلفة ، فنشر سنة ١٩١٠ في مجلة الابحاث التي يصدرها معهد اللغات الشرقية ببرلين بحثاً في « الناحية الأدبية عند حمزة الاصفهاني »

أما تاريخ الطب عند العرب فقد وجه اليهِ عناية خاصة فشرع سنة ١٩٠٤ في نشر مؤلف عن أطباء العيون عند العرب مع العالمين هرشبرج J. Hirschberg وليبرت J. Lippert عن علي بن عيسى مع ترجمة النص الى الالمانية وشرحه ، وسنة ١٩٠٥ عن عمار بن علي الموصلي وحنيفة الحلبي وصلاح الدين . ومن جهة أخرى نشر عام ١٩٠٥ — ضمن أبحاث المجمع العلمي الملكي البروسي — فصلاً عن الكتب العربية التعليمية في طب العيون . وفي سنة ١٩١٣ نشر بحثاً في أقدم وباء للانفلونزا في فارس والعراق سنة ٨٥٥ ميلادية . وقد اهتم بجمع مؤلفات الاطباء العرب في مصر بشمالها جميعاً وقدم عن ذلك سنة ١٩٣٢ تقريراً مفصلاً

الى مؤتمر المستشرقين المنعقد في اكسفورد والمجمع الدولي لتاريخ العلوم في باريس

أما في السيرة النبوية فمن آثار اهتمامه بها انه شارك بعض المستشرقين في نشر «طبقات ابن سعد» ، ففي سنة ١٩٠٥ اختص بنشر الجزء الخاص من بدء السيرة النبوية الى الهجرة ، وكذلك الجزء الخاص بالسيرة النبوية في المدينة وقد نشر سنة ١٩١٧ . وفي سنة ١٩٢٦ نشر مقالاً في تحقيق تاريخ مولد النبي وتاريخ وفاته

أما في الفقه فقد نشر سنة ١٩١٣ بحثاً عن تاريخ نشأة الصلاة والشعائر الدينية في الاسلام وعلاقتها بما يناظرها في اليهودية وذلك في مجلة المجمع العلمي الملكي البروسي . ونشر سنة ١٩٢٢ بحثاً عن رسالة منسوبة الى ابن عباس ضمن الكتاب المقدم الى المستشرق الانكليزي Edward E. Browne بمناسبة بلوغه الستين . ونشر في سنة ١٩٢٦ بحثاً عن الفتاوى الاسلامية في أهل السامرة

أما السحر فقد كان اهتمامه به من ناحية الفائدة التاريخية . فنشر سنة ١٩١٢ تعيمة وردت في نص لحمزة الاصفهاني وكذلك نشر سنة ١٩١٣ رسالة في خرافات وعادات عند عرب الجاهلية عن حمزة الاصفهاني

ثم أنشأ مقالات مختلفة في دائرة المعارف الاسلامية منها :

أيام العرب ، علي بن عيسى ، عمّار ، دواء ، ذو القفار ، ذو فار ، ذو القرنين ، جبرت ، حكيم ، حليمة ، حمزة الاصفهاني ، ابن القفطي ، ابن ميمون ، ابن سعد ، عيد ، عبد الاضحى ، عيد الفطر

ووجه الاستاذ عنايته شطر دراسة الآثار الاسلامية ، فنشر مع الاستاذ سره F. Sarre سنة ١٩٠٣ عن الخزف ذي البريق المعدني الاسباني المغربي في القرون الوسطى وصناعته في مَلَقا . وقد اختص الاستاذ منفوخ في هذا بالمصادر العربية . وكذلك كتب ملحقاً لمقال نشره (سره) سنة ١٩٠٤ عن حوض معدني شرقي يرجع الى القرن الثالث عشر الميلادي محفوظ في متحف الاجناس ببرلين ، وآخر عن أواني خزفية اسلامية من العراق نشره سنة ١٩٠٥ وفي سنة ١٩٠٦ أخرج (سره) كتاباً عن مجموعة تحفه تحت عنوان «منسجات الفن الاسلامي» : الجزء الاول منه عن المنسجات المعدنية والجزء الثاني نشره سنة ١٩٠٩ وعنوانه الطرائف الخشبية . وفي كل من الجزئين ملحق للاستاذ منفوخ فيه دراسة للكتابات المدوّنة على التحف المختلفة . وقد اشترك مع (سره) في نشر كتاب « رسومات من رضا عباسي » سنة ١٩١٤ وظهر له سنة ١٩٣٥ في مجلة الدراسات الشرقية Orientalia بحث عن نقش عربي يرجع الى سنة ١٣٦ هجرية

— ٣ —

اشتهر الاستاذ متفوخ بدراساته في النقوش العربية الجنوبية وله في هذا الفرع تلاميذ كانوا يرتحلون اليه من بلاد مختلفة ، فاستقامت بهم مدرسة لها طريقتها وخصائصها وهي تقابل مدرسة المستشرق رودوكاناكيس Rhodokanakis في النمسا. فعرفت المدرسة بالاعتدال والحيطة في حل النقوش العربية الجنوبية وتفهم معانيها على حين عرفت مدرسة النمسا بتطرفها . وكان الاستاذ متفوخ مهتماً بشؤون اليمن وقد زاد اهتمامه بها منذ سنة ١٩٢٦ لما نشر مقالاً عن اليمن هو دراسة ما أحضره بورخرت H. Burchardt من صور خوئية لنقوش جمعها في أثناء إقامته الطويلة بتلك البلاد . وفي سنة ١٩٢٨ ظهر له مقال في مجلة الجمعية الشرقية الألمانية عن نقوش من بلاد العرب الجنوبية عثر عليها راتينس C. Rathjens وفيسمن H. V. Wissmann خلال رحلتهما في بلاد اليمن في شتاء عام ١٩٢٧

وقد شرع الاستاذ متفوخ في العمل مع الأستاذ موردتمن J. H. Mordtmann في دراسة تلك النقوش فنشرا عام ١٩٣١ كتاباً عن النقوش السبئية وآخر سنة ١٩٣٢ عن النقوش الحميرية المحفوظة بمتحف الدولة في برلين . وأيضاً نشرا سنة ١٩٣٢ في مجلة الدراسات الشرقية مقالاً عن النقوش العربية الجنوبية في عدن وآخر سنة ١٩٣٣ عن النقوش العربية الجنوبية من حضرموت ، كما نشرا في المجلة المذكورة سنة ١٩٣٤ ملاحظات عن النقوش العربية الجنوبية . وفي عام ١٩٣٥ نشر الاستاذ متفوخ في مجلة الدراسات الشرقية مقالاً عن العصور السبئية المتقدمة . ومنذ عام ١٩٣٦ بدأ ينشر مع تلميذه الدكتور شلوبيس H. Schlobies سلسلة أبحاث في مجلة الدراسات الشرقية عن النقوش العربية الجنوبية المحفوظة في متحف الأجناس بمدينة هَمْبُرج

— ٤ —

كان الأستاذ متفوخ حجة في لغات الحبشة يعرف معظمها ويلم بدقائقها ولكنه صرف جلّ عنايته الى دراسة اللغة الأمهرية فنشر سنة ١٩٠٦ مقتطفات من القرآن مترجمة الى اللغة الأمهرية ضمن أبحاث معهد اللغات الشرقية في برلين . وفي سنة ١٩٠٧ نشر ضمن هذه الأبحاث نبذاً من اللغة الأمهرية العامة ، وفي السنة ذاتها كتب في مجلة الأدب الشرقي ملاحظات عن تاريخ ملك تيودور المكتوب باللغة الأمهرية . ونشر سنة ١٩١٠ ضمن أبحاث معهد اللغات الشرقية في برلين نصاً بالأمهرية عن ألعاب الصبيان مع ترجمته وشرحه . ونشر ضمن هذه الأبحاث سنة ١٩١١ نصاً بالأمهرية عن الحكايات والقصص مع الترجمة والشرح . وفي السنة ذاتها نشر في مجلة الاشوريات بحثاً عن كلمة « دشنهوى » الأمهرية وهي

ترادف لقب « جلالة » الملك . ونشر سنة ١٩١٥ في الكتاب المقدم للمستشرق ساخاو E. Sachau عند بلوغه سن السبعين نصًّا بالأمهرية مع الترجمة والتعليق عن « النبي وانتشار الاسلام في الحبشة » . ونشر سنة ١٩١٧ مقتطفات من اللغة الأمهرية العامية . وفي سنتي ١٩٢٥ و ١٩٢٦ نشر بحثاً عن نطق اللغة الحبشية القديمة (الجعيز) المأثورة عند علماء الاحباش . وفي سنة ١٩٢٦ نشر نص معاهدة الصداقة والتجارة بين الحبشة وألمانيا ، والنص بالامهرية ، وقد ترجمهُ الى الالمانية وعلق عليهِ ضمن كتاب الدراسات الشرقية الذي قدم للمستشرق الالماني الاميركي هوبت Paul Haupt الذي كان مديراً للمعهد الشرقي بجامعة Johns Hopkins ببلطيمور باميركا . وفي السنة ذاتها نشر رسالة بالايطالية لأحد الآباء الفرنسيسكان ترجع الى سنة ١٤٩٥ وقد عثر عليها في آخر نسخة خطية حبشية بمكتبة برلين وفي سنة ١٩٢٩ تولى نشر النص الأمهري للبالي قرطاجنة وأتمهُ سنة ١٩٣٢ مع ترجمته والتعليق عليهِ . وفي سنة ١٩٣٣ نشر مقالاً عن « الفلاشة الاحباش المزعومين في القرن السابع عشر »

— ٥ —

وجه الاستاذ متفوخ اهتمامه الى دراسة اللغة العبرية والآثار اليهودية فنشر سنة ١٩٠٢ النقوش العبرية التي في تدمر . وفي سنة ١٩٠٣ نشر ترجمة عربية مع الشرح لبعض المزامير التي عثر عليها ضمن مجموعة بمصر القديمة في مجلة دراسات العهد القديم . وفي السنة ذاتها نشر مقطوعة أخرى من تلك المجموعة في مجلة الجمعية الشرقية الالمانية . ونشر سنة ١٩٠٧ مقالاً في مجلة تاريخ الطب والعلوم الطبيعية تحت عنوان « هل ورد ذكر المين الصناعية في التلمود » وفي سنة ١٩١٢ نشر مقالاً بمناسبة بلوغ كوهين H. Cohen سن السبعين عن اعادة بناء كنيس اليهود في فيلة وقد ذكرت في الاوراق البردية الآرامية التي يرجع تاريخها الى القرن الخامس قبل الميلاد . وفي السنة نفسها نشر في المجلة الشهرية للتاريخ والعلوم اليهودية شاهد قبر عبري في الشرق يرجع الى سنة ١٢١٧ ميلادية . وفي سنة ١٩١٤ نشر بمناسبة بلوغ هوفمن David Hoffmann سن السبعين قصيدة لنحمة جاءون معلياح وهي من مجموعة الكتب اليهودية التي عثر عليها في مصر القديمة . وفي سنة ١٩١٥ شارك الاستاذ سوروهين Sol. Schechter في نشر مقال عن النقوش العبرية بكنيس حلب بمناسبة بلوغ Jakob Guthmann سن السبعين . وفي سنة ١٩٢٣ نشر في مجلة القدس بحثاً عن بعض اشتقاقات عبرية عربية . ونشر في السنة نفسها بمناسبة بلوغ David Simonsen سن السبعين بحثاً في كلة « شيخ » العبرية . وكتب سنة ١٩٢٥ مقالاً في المجلة اليهودية عن افتتاح جامعة القدس . وفي عام ١٩٢٩ اشترك بمناسبة مرور مائتي عام على ميلاد الفيلسوف

اليهودي مندلزون Moses Mendelssohn (١٧٢٩ — ١٧٨٦) مع J. Elhogen و J. Guthmann في نشر مؤلفات هذا الفيلسوف . ونشر سنة ١٩٣٢ في المجلة الشهرية للتاريخ والعلوم اليهودية رسائل متبادلة بين David Kaufmann وبين Paul Geore von Moellendorff مع التعليق عليها . ونشر في نفس المجلة سنة ١٩٣٤ بعض رسائل موجهة من W Gesenius و E. Rödiger و J. L. Saalschuety و J. Ch. Fr. Tuch الى البارون Fr. S. F. Benary

— ٦ —

لم يقتصر الأستاذ متفوخ على هذه الدراسات العلمية النظرية بل أظهر استعداداً حيوياً لمعاونة البلاد الشرقية في حل مشكلاتها . ففي أول الحرب الكبرى نشر مقالاً عن تركيا والجهاد . وفي سنة ١٩١٦ نشر بحثاً في مجلة الشؤون الاقتصادية للشرق عن مشكلة اللغة ومكانتها الاقتصادية في تركيا . وفي سنة ١٩١٦ نشر مقالاً عن القاطعة الجنوبية في الدولة التركية وظهر المقال في عدد خاص عن علاقة تركيا بألمانيا . ومن سنة ١٩٢٠ أخذ يدير المجلة الشهرية للسياسة والتجارة والحياة الأدبية في الشرق التي تسمى الشرق الحديث Der Neue Orient الى سنة ١٩٢٣ بما عرف عنه من علم ودراية بشؤون الشرق وحزم وحسن تصرف حتى أوصلها الى المكانة التي تبوأتها . وكذلك تولى منذ سنة ١٩٢٢ إدارة مجلة معهد اللغات الشرقية في برلين الى ان أقيل من الادارة بسبب الظروف السياسية . وفي سنة ١٩٢٦ كتب مقالاً بمناسبة بلوغ المستشرق الوزير بيكر Becker سن الخمسين عن معهد اللغات الشرقية ببرلين ومهمته الثقافية السياسية . وفي سنة ١٩٢٧ كتب مع آخرين كتاباً عن الآثار الأدبية في بلاد المجر من العصر التركي . هذا وتولى في أثناء وجوده كرئيس لمعهد اللغات الشرقية ببرلين كتابة تقارير سنوية علمية عن الدراسة بالمعهد والتوجيه المقترح للوصول الى الغاية التي يرمي اليها من الدراسة بالمعهد . ثم كانت له اليد الطولى في إنشاء معهد العلوم السامية والاسلامية ببرلين . وقد وضع خطة التدريس بالمعهد كما تستدل على ذلك من تقريره الذي نشره سنة ١٩٣٠ وبما انتقل الى انكلترا اسعين به على تفهم المطالب العربية والحبشية

كان الاستاذ متفوخ موضع تقدير أساتذته وإكبار زملائه وإعجاب تلاميذه . ولم تفته تحيتهم جميعاً بها فألفوا المقالات العلمية في الكتب التي كانت تقدم لهم عند بلوغهم سناً معينة . وقد رد له أثناء حياته بعض هذا الفضل طائفة من زملائه وتلاميذه إذ قدموا اليه عند بلوغه السنين كتاباً يحوي أبحاثاً علمية . ولا يفوتني أن أثبت على صفحات « المقتطف » ما قام به الاستاذ متفوخ من أعمال في حياته الباهرة وما تركه من آثار علمية تشهد له بالنبوغ . اعترافاً على الدراسات الشرقية وإقراراً في بعطنه عليّ . رحمه الله رحمة واسعة